إمبراطورية المغول بقيادة جنكيزخان

Genghis Khan

الدكتور

محمد نور الدين

إمبراطورية المغول بقيادة جنكيز خان *Genghis Khan*:

- إذا نحن استثنينا قبائل الآفار / جوان جوان / المغولية التي كانت تؤسس دولة قوية في الصين ، وكانت تخضع لها قبيلة الأتراك الغز / توكيو / ، ثم تقوَّض ملكهم بعد ثورة تاريخية هامة قام بها الأتراك بما دفع الآفار بأن يهاجروا غرباً شمالي بحر قزوين والقوقاز ،وأسسوا لأنفسهم هناك دولة مستقلة بذاتها .
- فإن المغول كانوا في مواطنهم المعروفة شمالي الصين وفي منغوليا ، عبارة عن قبائل رحّل تتنازع فيما بينها ومع القبائل البدو الأخرى من الأتراك ، و لم يكن لهم تأثير يذكر في حركة التاريخ البشري ..

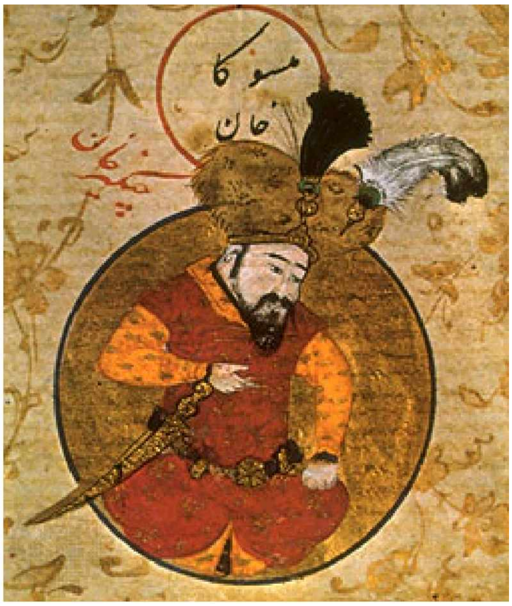

Genghis Khan, from a 16th-century Persian miniature

- حتى بزغ نجم بطلهم التاريخي العظيم – جنكيز خان *Genghis Khan* (١) – الذي وحّد تحت إمرته قبائل المغول والأتراك ، وابتدأ فتوحه في شمال الصين فأخضع معظمه

---

[1] اسمه الأصلي : تيموجين Timuchin ومعناه الفولاذ الخالص . و أما " **جنكيز خان**" فلقبٌ منح له عند تنصيبه ملكاً على جموع "القبائل التركية –المغولية" التي قام بتوحيدها و إخضاعها لإمرته في منغوليا .
وأما كلمة جنكيز فغامضة الاشتقاق ، والراجح أنها مأخوذة من الكلمة تركية "تنكيز" و معناها " البحر المحيط".

- ثم اتجه غرباً ، فدمَّر الدولة الخوارزمية العظيمة –وكانت في ذروة قوتها – واحتل ممالكها على التتابع : بلاد ما وراء النهر ثم خراسان ثم فارس ..

- وفي طريقهم.. دمّر المغول دولة "الإسماعيليين الحشّاشين"- في إيران - الذين كانوا مصدر إرهاب وخوف للمسلمين ، والذين كانوا قد اغتالوا عدداً من قادة ذلك العصر المخالفين لمذهبهم أمثال الوزير السلجوقي(نظام الملك) ثم ابنه من بعده!

- و لم يدم فرح المسلمين طويلاً بهذا الخلاص من الإرهابيين الحشاشين ،حيث تابعت جحافل المغول فتوحاتها، حتى دخلت بغداد عنوةً(٦٥٦هجرية) بعد مقاومة باسلة من حامية بغداد ،ولذلك –كما يكون مصير كل من يقاومهم - قتل المغول الخليفةَ العباسيَّ ، و قتلوا حاميتَها ونكَّلوا ببغداد ..

- ثم اجتاحوا بلاد الشام ودخلوا دمشق في مارس ١٢٦٠م = ٦٥٨هـ وهنا – وفي هذا الوقت - يموت الخاقان الأعظم للمغول (منكوخان) في قراقورم ،ويُستدعى أولاد وأحفاد جنكيز خان إلى مجلس الشورى المغولي (الكوريل تاي *Kuriltai*) لانتخاب الخان الأعظم الجديد للإمبراطورية ؛

  فيرجع هولاكو بمعظم جيشه إلى فارس ، ويترك في بلاد الشام جيشاً صغيراً من المغول (عشرة آلاف جندي) بقيادة أحد ضباطه واسمه (كيتوبوقا أو كتبغا) و هو قائد عسكري محنك من قبيلة النايمان التركية ،

- ومع أن بعض مستشاري كتبغا Kitbuga أشاروا عليه أن لا يمضي إلى فتح مصر حتى يعود سيدُه هولاكوخان ولكن الغرور دفعه بأن يقصد مصر بعشرة آلاف جندي فقط.!

- تقول الموسوعة البريطانية :

"Kitbuga and his Mongol army of about 10,000 men were lured into a trap at 'Ayn Jalut , in Palestine, by a Mamluk force of 120,000 men commanded by Baybars."

ما ترجمته :

" كيتبغا وجيشه المغولي (في حدود ١٠ آلاف رجل) استُدرِجوا إلى كمينٍ عند عين جالوت ، في فلسطين ، بواسطة قوَّة من المماليك مؤلَّفة من (١٢٠ ألف رجل) يقودهم بيبرس "

- وكانت مصر - وقتئذ - تحت حكم المماليك الأتراك (من القبجاق والخوارزميين)،وكان جيشهميقاتل بنفس الطريقة التي يقاتل بها المغول ، ثم فوق هذا كانوا أكثر عدة وعدداً بكثير من الجيش المغولي الذي فوجيء بكمين أعده له البطل التركي المسلم بيبرس مع جيشه التركي المملوكي (القيادة العليا كانت للسلطان التركي قطز)؛و هكذا ينتصر جيش المماليك (المسلمين) على الجيش المغولي في عين جالوت..

ويشيد بهذا النصر العلامة المؤرّخ أبوشامة -في كالذيل على الروضتين ص ٢٠٨- قائلاً :

غَلَبَ التتارُ على البلادِ فجاءَهُمْ   مِنْ مصْرَ تركيٌّ يَجُودُ بنفسِهِ
بالشامِ أهلَكَهُمْ وبَدَّدَ شملَهُمْ   ولِكلِّ شيءٍ آفةٌ مِنْ جِنْسِهِ

نُذَكّر هنا أن الجيش المملوكي كانكله تركياً قيادةً وجنوداً، وكان يتألف من الأقسام التالية :

١- المماليك السلطانية :وكانوا من الأتراك الذين يجلبون من بلاد القبجاق .

٢- جند الحلقة : تتكون من محترفي الجندية من أولاد المماليك، وقد عرفوا أيضا باسم أولادالناس ،وهم الفئة النظامية في الجيش ،ودعامته أثناء الحرب؛ وفي وقت السلم وهم أيضا أصحاب الحرف والصناعات .

٣- مماليك الأمراء : شبيهة بالمماليك السلطانية ؛ غير أن أفرادها يتبعون أمراءهم.

و يؤرخ العلامة عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه الشهير لمعركة عين جالوت في عبارة بليغة مختصرة فيقول :

ثم"وصل التتار إلى دمشق وسلطانها الناصر يوسف بن أيوب فخرج هارباً ،وخرج معه أهل القدرة، ودخل التتار إلى دمشق وتسلَّموها بالأمان ثم غدروا بهم ،وتعدَّوها فوصلوا إلى نابلس ثم إلى الكرك وبيت المقدس .. فخرج سلطان مصر بجيش الترك الذين هابهم الأمر وتدقل في أعينهم أعداد الجنود فالتقاهم عند عين جالوت فكسرهم وشرَّدهم وولَّوا الأدبار ... ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحاً ودخل المظفَّر قطز إلى دمشق مؤيَّداً منصوراً وأحبَّه الخلقُ محبةً عظيمة، وساق بيبرس خلْفَ التتار إلى بلاد حلب وطَرَدَهم " (١)

###

- وأنت حين تقرأ عن المغول وعن جنكيزخان ،في كتب التاريخ المتخصِّصة وفي الموسوعات العلمية الموثوقة كالموسوعة البريطانية الشهيرة وموسوعة *Encarta* الأمريكية، ستقرأ صورةً مغايرةً تماماً..للصورة الكاذبة التي تجدها في الكتب المدرسية العربية !!

.. وستجد نفسَك أمام رجل فذٍّ حقاً جمع شتات القبائل المغولية والتركية (الرحّالة منها) وصنع منهم قوة متحمِّسة لا تُرَدّ ، وحمل إلى الشعوب الأخرى – مع قسوته وبطشه – نظاماً دقيقاً صارماً للقوانين مع رعاية كاملة متفوِّقة للعلوم والآداب والفنون ؛وحتى الأديان فالتاريخ لا يحفظ لأحد من الفاتحين - من حيث حفاظه على حرية المعتقدات والأديان والفكر (مهما كانت بوذية أو مجوسية أو نصرانية أو مسلمة أو ...) – مثلما حفظ لهؤلاء المغول في تاريخهم وتاريخ حكمهم لشعوب العالم ..لا في وقت جنكيز فقط في جميع العهود المتطاولة التي حكم به فيما بعد أولاده و أحفاده ..

---

[1] كـ عجائب الآثار ج١ص٢٩

وهنا من حق التاريخالعلمي الموضوعي الموثَّق أن نذكر لجنكيزخان وأولاده وأحفاده من بعده وأن نلخِّص أهم المميزات لنظام حكمهم :

١- النظام الدقيق الصارم الذي يستند إلى نصوص الياسا (١) والذي ضبط الحياة ضبطاً صارماً حفظ الأمن في ربوع أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ .

٢- تنظيم أعظم وأسرع شبكة بريدية (٢)عرفها التاريخ من قبل !– ربطوا بها الإمبراطورية بأجزائها الفسيحة ، وكذلك – و بجوارها- نُظِّمَتْأسلم وآمن و أعظم خطوط التجارة بحيث ربطت العالم القديم بعضه ببعض .. فأصبحت الصين التي كانت في عزلة -قبل عهد المغول - أصبحت حاضرة (قوبيلاي ابن جنكيزخان) الخان الأعظم للمغول ،وصارت هي وجاراتها على اتصال موثوق مأمون مع أوربا و مع العا لم الإسلامي كله .

التسامح الديني العظيم مع جميع الديانات ،السماوية منها وغير السماوية .. و عدّها جميعاً طرقاً مختلفة إلى هدفٍ واحدٍ وهو عبادة الله! ..

يقول الأستاذ الدكتور\ السيد الباز العريني في كتابه "المغول"- صـ٢٦ :

((ومن خصائص المغول أيضاً، ما اشتهروا به من التسامح الديني .على أن ما جرى من تعليل هذا التسامح، بأنه يرجع إلى ما اشتهر به المغول من عدم الاكتراث بالدين، يعتبر حكماً لا يستند إلى أساسٍ متين .))

---

[1] ياسا YASA= يَسَق : تحريف للكلمة المغولية "دزاساق *Dzasak*" ؛ وهي مجموع القوانين التشريعية المغولية التي جمع مادمّا جنكيز خان ونظَّمَها وطوَّرها ، ثم جعلها القانون الأساسي للإمبراطورية المغولية .

[2] كان لهذا الانجاوور عظيم في تلاقح الثقافات ،شرقيّها وغربيّها ، في ظلال إمبراطورية المغول ؛ وأنت تجد هذا واضحاً بيّناً في البعثات الرسولية البابوية من روما إلى خان باليك (بكين حالياً) مقر عاصمة المغول ومنها إلى قرا قورم عاصمتهم في منغوليا ..

ويقول أيضاً في صـــ١٩٥:

((في حديث منكو خان إلى الراهب الفرنسي (وليم رو بروك) ما يدل على تسامحه مع سائر الديانات ،إذ قال ليست الديانات إلا كالأصابع الخمسة ليدٍ واحـــدةٍ ...إذ اعتقد منكو بأنه ثـــمَّة إله واحد ، يعبده كل فرد كيفما أراد.)) اهـــ

٤- الرعايا جميعهم متســـاوون أمام القانون المغولي مهمـــا كانـــت جنســـياتهم أو دياناتهم .والفرص متاحة للجميع في ارتقاء المناصب شريطة الإخلاص لدولة الخان

! و في ذلك يقول د. الصيادي صـــ١٥٣:

" كان جنكيزخان يتجنَّب التعصّب ، ورجحانَ أمَّةٍ على أمة ..أو دينٍ على ديـــن ، وكان يكرم العلماء والزهّاد من كل طائفة ، ويعفيهم من الضرائب "!

٥- اصطناع العلماء والفلاسفة والمفكرين : فقد كان جنكيزخان –كما مـــرّ معنـــا – يكرم كل مثقف وكل عالم ومفكِّر وكان يقرِّبهم منه ، وينصّبهم كمستشارين له مهما كانت جنسياتهم أو أديانهم وكذلك كان أحفاده وأولاده من بعده ..

- **و قد اصطفى جنكيزخان لنفسه ثلاثةً من كبار حكماء عصره –**
  أحدهـــما : صيني الثقافة من أصلٍ تونغوزي وهو (يي ليو تشو تساي) ،
  والثـــانـــي : تركي مسلم وهو (محمود يلواج الخوارزمي).
  والثـــالث : أويغوري تركي ،وهو (تاتا تونغا)
- وحتى هولاكو خان كان معظم مستشاريه من العلماء المسلمين – فرساً و تركاً ...
- مثل ذلك فعل قوبيلاي خان حين توسَّم النبوغ والعبقرية في كلٍّ من :
  - § ماركو بولو(الرحَّالة الإيطالي الشهير) ، فحين لمس فيه الوفاء قرَّبه إليه واتَّخذه مستشاراً له .، وعهد إليه بالقيام ببعض الأعمال الهامَّة ..
  - § و الوزيرالمسلم الإيراني الجنسية (أحمد البناكتي) الذي ارتفع شأنه كـــثيراً في بلاط قوبيلاي البوذيِّ الديانة، حتى عرف بلقب " السيِّد الأجـــلّ "؛ حـــتى بات يحسده كثيرٌ من الأمراء المغول ! .

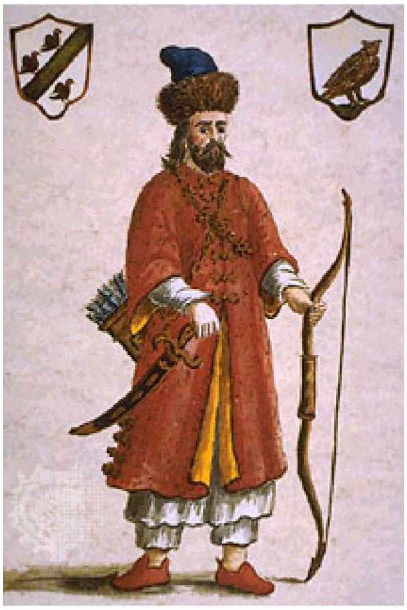

ماركو بولو (Marco Polo) بالزيّ المغولي.

وهكذا ..فإنه يمكننا إذن أن نعدَّ دولة المغول - بحقّ - أوَّلَ دولةٍ علمانية في التاريخ؛

١. إذ هي أول دولةٍ كانت تعزل الدين تماماً عن التأثير في السياسة و الإدارة،

٢. وهي أول نظامِ حُكْمٍ مارس المساواةَ المطلقة - بين أصحاب الديانات والجنسيات المختلفة من الشعب - ممارسةً كاملة أمام القانون من حيث الحقوق الكاملة (وأهمها حقّ تكافؤ الفرص) ،ومن حيث الواجبات والعقوبات.

٣. ثمَّ هي أول دولةٍ غير دينيةٍ في التاريخ (أي لا يوجد في دستورها دين رسمي للدولة هو دين الحاكم! كما هو شائع معروف قديماً وحديثاً).

٤. هذه الدولة التي بلغت الذروة في تسامحها الديني مع جميع رعاياها ، وُجِدَتْ في زمنٍ ساد فيه التعصُّب الديني والمذهبي ،بل كان قد بلغ الغاية وأصبح موضة ذلك العصر(وهو عصر الحملات الصليبية، و الاغتيالات الباطنية ، والحرب المذهبية حتى بين أتباع الدين الواحد !!)

٤- الفتوحات المغولية :

لم تكن الفتوحات المغولية مجرَّد غزوات نهب وقتل ؛ بل لقد كانت في حسابات جنكيزخان وتصوُّراته ، أن يقيم إمبراطورية عظيمة تحكم العالم القديم بأسره ([1]) وتمزج حضاراته وطاقاته معاً ،ويبدو هذا واضحاً في تحرّكاته و تحركات جيوشه في كل صوب فاتحاً حاكماً منظّماً لها وفق نظمه وقوانينه؛ وبما يحفظ تماسكها مع المركز ، و إذن لم تكن فتوحاته غزواً يسلب ثم يرجع إلى دياره .. بل كانت فتحاً توسّعياً متحمّساً مبشّراً

يقول ا.د. العريني صـ٢٥ \من كـ"المغول" :

- ((و نجانب الدقّة إذا اعتبرنا المغول مجرَّد شعبٍ همجيٍّ مغير ،فالمعروف أن هولاكو أقام مرصداً فلكياً ،على الرغم من أنه استباح بغداد وضربها،كذلك أنشأ قوبيلاي خان جامعةً في كامبالو (بكين) بعد الاستيلاء على شمال الصين .)) اهـ"

لم يكن المغول يُعْملون البطشَ والتدمير حيثما ذهبوا ؛بل إن كثيرًا من البلاد (المسلمة وغير المسلمة) التي فتحوها سلماً؛ كانت تعامل معاملةً حسنة ،وكثيراً ما كانوا يُبقون على حكّامها الأصليين ماداموا يعلنون خضوعهم للخان(أي للدولة الفاتحة) ويدفعون الجزية المترتِّبة عليهم ؛

ثمّ إنهم كانوقبل أن يفتحوا بلداً أو مدينةً كانوا يُنذرون أهلَها ،(كما كان يفعل الفاتحون المسلمون تماماً):

١. فإما الاستسلام لدولة المغول مع دفع الجزية ،وبذلك يأمن حاكم هذا البلد على عرشه وعلى شعبه .
٢. أو الحرب ..

---

[1] عن هذه الحقيقة راجع ما كتبه شبولر : في كتاب العالم الاسلامي في العصر المغولي \ شبولر صـ٢٥+٢٦+٢٧

فإن أبى و قاوم و قارع جيشاً بجيش كان جزاؤه - بعد الانتصار عليه - البطش به وبفلول جيشه ،والتنكيل بشعبه الذي سانده أيضاً .

و لم يكن هذا المخطط عبثيًا بل كان البطش بالمقاومين نوعاً من الحرب النفسية الهائلة التي كانت تشلّ الخصوم وتُنذر بالعاقبة و.كانت هذه طريقة حربية ذكية سهَّلت كثيراً من الفتوح التي وقعت دون مقاومة !! (١)

---

[1] راجع الموسوعتين: - Britannica - Encarta \ مادة جنكيز خان + مادة الإمبراطورية المغولية

فتوحات جنكيزخان والمغول في أوربا :

- تقدَّمت أول الفتوحات عام ١٢٢٣م عبر القوقاز الشرقي بقيادة البطلين (سَبوتاي *Sabutai*) و(جيبا *Gebe*)وعاثت في عمق روسيا في غزوات عابرة ذات طبيعة استطلاعية ميدانية (١)،ثم رجعوا وانسحبوا بطلب من جنكيزخان ،

- ولكن في عام ١٢٣٦م تقدّمت الجيوش المغولية التركية باتجاه الغرب بصورة أساسية ، وكان هدفها إخضاع أوربا ، ولتكون هذه الأقاليم أملاك جوجي وأولاده (أشهرهم باتوخان *Batu*)، وتقدمت هذه الجيوش إلى الشمال من بحر آرال وبحر الخزر فوصلت أولًا إلى بلاد بلغار الفولغا وفي العام التالي تعرضت الإمارات الروسية لهجوم مغوليّ ساحق ،أخضع بلاد روسيا ثم مضت الجيوش المغولية تكتسح أقاليم أوروبا تباعًا ساحقةً كل مقاومة ،في تحركات تكتيكية عالية التنظيم؛
- وفي ذلك يقول المؤرخ الألماني بيرتولد شبولر (٢) :

---

[1] تقول الموسوعة البريطانية\ في مادة الاستراتيجية\:

"Strategy was notably absent in the excursions of the Huns, the Muslims, and the crusaders. Far more important from a strategic viewpoint were the campaigns of Genghis Khan and his general, Sabutai, in the 13th century. Their advance planning and bold strategic maneuvers in broad sweeps from Mongolia across Asia and Europe showed an appreciation of strategic problems most unusual for their age."

1994-2000 Encyclopædia Britannica .

ما ترجمته :

"الإستراتيجية كَانتْ غائبةً بشكل واضح في غاراتِ كلٍّ من الهون، و المسلمين، والصّليبيين . بينما كانت حملاتَ جنكيزخان وقائد جيشه سابوتاي، في القرن الثالث عشر كانت – من وجهة نظرٍ استراتيجية- بالغة الأهمية إلى حد بعيد. إذ إنَّ تخطيطهم المتقدّم الناجح ومناوراتهم الإستراتيجية الجريئة في الاجتياح (العسكري)الواسع من منغوليا عبر آسيا وأوروبا أظهرَ تقديرهم للمشاكلِ الإستراتيجيةِ الأكثر استثنائية لعصرهم ."

[2] ص٣٧من ك العالم الاسلامي في العصر المغولي \ شبولر

" وقد استنتج من سير هذه الحملات أن المغول كانوا يمتلكون خُطَطاً حربيةً رفيعة المستوى للإحاطة بأعدائهم وسحقهم ...فالدقّة في التحرّكات على مقياسٍ واسع ،وهي السمة التي امتازت بها تلك الجيوش الآسيوية الجرّارة ،توحي بوجود تخطيط عامٍّ متقن " اهـ

يقول د. فؤاد الصياد كـ المغول في التاريخ ص١٨٧:

((وبينما كان المغول سائرين على قدم وساق في القارة الأوربية ، إذ بالأنباء ترد إلى أوربا تعلن وفاة الخاقان أوكتاي سنة ٩٣٩هـ\١٢٤١م واستدعاء القادة الفاتحين باتوخان وسبوتاي لحضور القورليتاي ، والاشتراك في انتخاب الخان الجديد . وبذلك سَلِمَتْ أقاليم أوربا الغربية من خطر محقّق كان ينتظرها على يد هؤلاء المغول !))

وهكذا ترى أن التاريخ لم يذكر فاتحاً ولا عبقريةً عسكرية تضاهي عبقرية جنكيزخان فالتاريخ يحدّثنا عن الصدمة التي أحدثتْها فتوحاته الواسعة جداً في زمن قياسي مذهل! :

- يقول المؤرّخ العربي العظيم ابن الأثير (١) - المعاصر للفتح المغولي - في معرض حديثه عن فتوحات المغول في أذربيجان والكَرج (جورجيا حالياً):

((وأدركتهم جنود التتار (أي المغول) وقد تَعِبَ الكَرْجُ (أي الجورجيون)من القتال ، فقتل كثير منهم، و لم يثبتوا للتتار وهُزموا أقبحَ هزيمة ، ورَكِبَهُمُ السيفُ من كلِّ جانب .. ولقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يُسْمَع بمثله في قديم الزمان ولا حديثه : طائفةٌ تَخْرُج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضُهم بفتوحاته إلى بلاد أرمينية من هذه الناحية؛ ويجاوزون العراق من ناحية همذان ؛ وتالله لاشكَّ أن من يجيء بعدنا - إذا بَعُدَ العهدُ - ويرى هذه الحادثة مسطورةً فسيُنْكرها ويستبعدها ، والحق بيده ، فمتى استبعد ذلك فلينظرْ أنا سطّرنا نحن وكلُّ مَنْ جَمَعَ التاريخ في

---

[1] صاحب كتاب الكامل في التاريخ \والمتوفى سنة ٦٣٠هـ-

أزماننا هذه ، في وقت كلٌّ مَنْ فيه يعلم هذه الحادثة – استوى في معرفتها العالمُ و الجاهل لشهرتها)) (١)

ويقول أيضا في موضع آخر من الكامل :

((ثم دخلتْ سنةُ سبع عشرة وستمائة (٦١٧هــ)، ذكْرُ خروجِ التتر إلى بلاد الاسلام : لقد بقيتُ عدةَ سنين مُعْرِضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها ، كارهاً لذكرها .. فياليت أمي لم تلدني ، وياليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّاً ... فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله آدم إلى الآن لم يُبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمَّن ما يقاربها ولا ما يدانيها... هذا ما لم يطرق الأسماع مثله ، فإن الإسكندر المكدوني ،الذي اتُّفِقَ على أنه مَلَكَ الدنيا، لم يملكْها في مثل هذه السرعة ، وإنما مَلَكَها في نحو عشر سنين !!)) اهــ.

---

[1] انتهى من كتاب الكامل جــ ١٠ \ صــ ٤١٠

حدود إمبراطورية المغول :

إن الإمبراطورية المغولية امتدَّتْ من كوريا وبحر الصين (شرقًا) وحتى شواطئ البلطيق وصولًا إلى مدينة برلين (غرباً).. محتلّين روسيا وبولونيا ،وهزموا حتى الألمان في عقر دارهم، ودمَّروا جيشهم، وكذلك فعلوا ببقية أوربا الشرقية – المجر وجزر البلقان ... – ولولا موت الخان الأعظم أوكتاي المفاجئ لخضعت أوروبا كلها للمغول – في أرجح التوقّعات -!!

وامتدَّت فتوحاتهم (جنوباً) إلى القوقاز وأذربيجان وإيران والعراق و بلاد الشام والأناضول .

وهكذا .. فقد كانت أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ قديمه وحديثه لا تضارعها في الاتساع والقوة إلا إمبراطوريات تركية مثلها كـ(إمبراطورية الهون) و(إمبراطورية تيمورلنك) و (إمبراطورية توكيو) !

شخصية الفاتح الكبير جنكيزخان :

يحدّثنا(شبولر) عن شخصية جنكيز خان فيقول في صـــ٢٧:

" إن صفات جنكيز خان الفائقة وشخصيته الفذّة لا تظهر في انتصاراته العسكرية فحسب؛ بل في ميادين أخرى ليست أقل أهمية إذ لا يسعنا إلا أن ننظر بإكبار وإعجاب إلى منجزاته كمشرّع قانوني ،ومنظّم للأمّة المغولية .."(١)

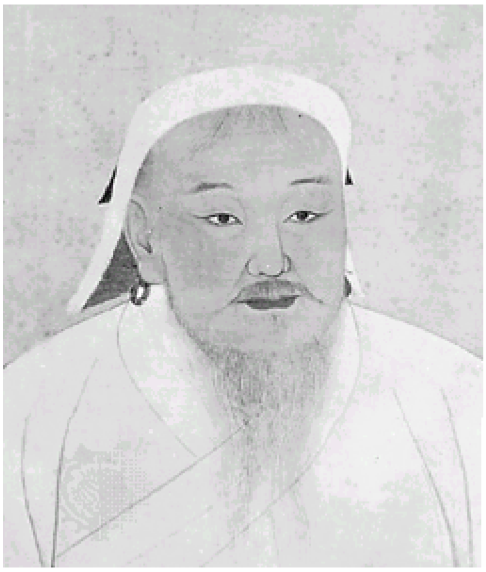

رسم لـــ(جنكيز خان) في آخر عمره (٢)

ولكن أدقّ وأعجب ما تقرؤه عن هذا الرجل العظيم(وعن تنظيمه لجيوش إمبراطوريته ،وعن الجانب الشخصي منه) تجده في كتاب(جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم –تأليف هارولد لامب\ترجمة: متري أمين)

١ - ديـــنـــه :

رغم أنه كان على ديانة أسلافه القدماء من المغول الأتراك- فهو يؤمن بالديانة الشامانية : وهي ديانة قديمة جداً تعبد الإله الواحد السامي ، ولكنها كانت تقدِّم بعض الطقوس التقديسية لكثير من عوامل الطبيعة - ففي حوار بين جنكيزخان وبعض العلماء المسلمين بعد أن سيطر على أقاليم الدولة الخوارزمية سألهم عن حقيقة الإسلام ومبادئه وأركانه؛ فقيل له: أولها توحيد الله سبحانه وتعالى ، فقال أنا أيضا : أنا أؤمن بالله تعالى وبأنه واحد؛ وكذلك وافق على بقية أركان الإسلام ماعدا الحج إذ قال : إن الأرض كلُّها لله ، فلا داعي لتخصيص مكان بعينه .

---

[1] صـــ٢٧ من كـــ العالم الاسلامي في العصر المغولي \ شبولر .

[2] Genghis Khan, ink and colour on silk. In the National Palace Museum, Taipei. By courtesy of the National Palace Museum, Taipei, Taiwan, Republic of China

ومع ذلك فإن المغول هم أشهر الناس في تاريخ الإنسانية في تسامحهم مع الأديان الأخرى ، بل واحترامها واحترام رعاياها ، وكان جنكيز يحضُرُ بنفسه الحفلات الدينية التي يقيمها الرعايا كلٌّ على مقتضى شريعته ..

٢ - القوانين :

اقتضت حياة المغول -رغم بساطتها- إلى أن تكون لها قوانين جمعت آدابهم وأعرافهم وتقاليدهم المتوارثة ، حتى جاء جنكيزخان ، فأعاد النظر فيها ونبذ بعضها وأبقى بعضاً ، وأثبَتَ قوانينَ جديدة ، وأخرجها بصيغة رسمية وسمَّاها (الياسا أو دزاصاق) ، وأمر بأن يتعلم الأطفال المغول الخط الأيغوري (الأبجدية الأيغورية التركية) .

- وقد أثبَتَتْ هذه القوانين – على قسوتها أحياناً – أنها استطاعت أن تنظِّم الشعب المغولي وغيره من الشعوب التي خضعتْ له تنظيماً دقيقاً ، وبقيتْ هذه الشعوبُ تعمل بها مدة قرون بعد ذلك ، وكان حتى بعض الحكام من المسلمين - كالأيوبيين مثلًا ،والمماليك ،ومن بعدهم – كانوا يحتكمون إلى شريعة الياسا دون الشريعة الإسلامية رغم أنهم مسلمون ، إذ كانت هذه الشريعة أصلح مايكون لذلك الزمان ،وخاصة في البيئات المغولية والتركية ،لأنها متعلقة بثقافتهم الأصلية .

فالتاريخ يحدثنا أن صلاح الدين نفسَه حينما قرَّر أن يحكم بين مماليكه حكماً عادلًا يرضونه لجأ إلى ما كان يعرف بقوانين (السياسة) ، وهي مستمدة أيضاً من التقاليد التركية المغولية، و لم يحكم بينهم بالشريعة الإسلامية .!

- يقول د.السيد الباز العريني :

((وما اشتهر به جنكيزخان من قدرة على التنظيم والإدارة ، جديرٌ بالاهتمام .. إذ أن الياسا أو اليَسَق ، ظلت مرجعاً في هذه الناحية حتى القرن الرابع عشر الميلادي ... غير أن ما بذله هذا القانون للإمبراطورية من نظام دلَّ على كفايته في المحافظة على

وحدة الإمبراطورية الشاسعة لمدة ٤٠عاماً بعد وفاته ، وفي تحقيق السيادة لأسرته أجيالاً عديدة في الإمارات التي انقسمت عليها الإمبراطورية فيما بعد .

٣- أخلاقه :

يقول د . الباز العريني صـ١٤٧:

" من ناحية أسلوب حياته وبيئته فقد اتصف بروح العدالة ، وبالإدراك السليم ، وبالاتزان الشديد ، وبالمحبة المؤكّدة ، وبتجرُّده من التهوُّر والاندفاع ..

وعلى الرغم من أنه سَحَقَ كلَّ مشيئةٍ تخالف إرادته ، فأخضع جيشه وشعبه لنظام من الصرامة والشدة ، ما أدى إلى منع الكذب والسرقة ، فلم تعد معروفة فيهم .

وقد كان مثالياً في سخائه ، فمن الروايات ما يشير أن هذا الأمير قد يخلع كل ما يرتديه من ملابس ويجود بها ، وقد يبذل لشخص من الأشخاص الجواد الذي يمتطيه ..

وإلى جانب ما اشتهر به من الشدة والعنف ؛ نلمس فيه من الصفات والخلال الكريمة ما يدعو للإعجاب:

١- ارتياعه الفطْري من الخونة والخيانة ، فأولئك الذين ظنّوا أنهم يظفرون عنده بالمكانة بأن يخونوا سادامم وبأن يخونوا الأوطان ، لم يكن لهم جزاء عنده إلا الإعدام وعلى العكس من ذلك ، فقد حدث في أحوال كثيرة ولاسيما بعد إحرازه النصر على خصومه أن كافأ أو أدخل في خدمته أولئك الذين أخلصوا حتى النهاية لسادامم الذين كانوا خصوماً ألداء له !.

٢- تقديره الشديد للشجاعة والبسالة ، وقد أورد المؤرِّخ رشيد الدين أمثلةً على ذلك منها إبداؤه إعجابه الشديد بخصمه العنيد البطل التركي المسلم جلال الدين (ابن خوارزم شاه) عندما حاصرته جيوش جنكيز .. فقفز هذا البطل بحصانه ومن جرف عالٍ إلى لجة نهر السند العظيم ليعود فيجمع قواته المقاومة مرة أخرى !!فقال عنه جملته الشهيرة :".بمثل هذا فليفتخر الآباء ! "

٣- وتشير الروايات إلى أنه متى تعهّد بحماية الضعفاء أو الأيتام ، فقد التزم بالدفاع عنهم دائماً وظل طوال حياته صادق الإخلاص لهم ، وكدليل على ذلك ، أنه حين لقي زعيم التانجوت مصرعه لانحيازه الى جانب جنكيزخان في أثناء القتال ضد زعيم النايمان ، تكفَّل جنكيزخان بأسرته كفالة كاملة ، واختصَّ ابنه بالرعاية حتى أصبح رجلاً ، ثم زوَّجه بابنته وحفظ لهم السلطان.

٤- تقديره للمثقفين والعلماء وأرباب الصناعات والحرف وبخاصة للمثقفين والعلماء (وعلماء الدين بينهم أيضاً ولو كانوا من غير دينه). فقد ذكرنا أنه اتخذ لنفسه مستشارين من الحكماء الناصحين ، على اختلاف عناصرهم ودياناتهم ...

٥- نشأ تيموجين (جنكيزخان) يتيماً من الأب ، وقد عانى مرارة اليتم في مجتمع لايرحم ، وقد تعرّض هو وأسرته (وكان عمره ١٢سنة) للكثير من الأذى وحمل همومهم صغيراً .. وإذا كان شخصٌ ما عصامياً حقاً فهو هذا الرجل العظيم !! الذي نشأ مستضعفاً ..ثم بنى وفي وقت قليل جداً، وبإنجاز يحسب من المعجزات ، أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ!.

٤ - شكله ومظهره الخارجي :

فقدجاء وصفه في العَ شْر الأخيرمن عمره على يد المؤرِّخَيْن اللذين عاصراه وعرفاه – المؤرخ الصيني منغ هونغ ،والفارسي الجوزجاني-وجاء في وصفهما له: أنه كان يمتاز على قومه بقامته المرتفعة ، وبجبهتهالعريضة ، ولحيته الطويلة ، ويشير الجوزجاني إلى قوة بدنه وإلى أن عينيه تشبه عيني الهرة . ثم يقول : ما من أحد من أبنائه ولا أحفاده ورث ما اتصف به من مواهب نادرة .

وأخيراً .. تقول عنه الموسوعة الأمريكية *Encarta* 2003:

> *[[It is, in fact, as a military genius that Genghis Khan lives in history. As such he was the equal of Alexander the Great or Napoleon I, and neither of the latter two achieved such vast or such enduring conquests.*
>
> *Genghis' son ruled over an empire that stretched from Ukraine to Korea. His grandsons founded dynasties in China, Persia, and Russia, and his descendants ruled in Central Asia for centuries]]*
>
> *Microsoft® Encarta® Reference Library 2003*

ما ترجمته :

((في الحقيقة .. إنه كعبقريّة عسكرية يعيش جنكيز خان في ذاكرة التاريخ .

وهو من هذه الزاوية يضارع كبار الفاتحينمثل الإسكندر العظيم أو نابليون ؛ علماً بأنه و لا واحد من هذين الأخيرين أنجز فتوحاتٍ تماثل فتوحاته في اتساعها و بقائها .

أولاد جنكيز خان حكموا إمبراطورية امتدَّت من أوكرانيا إلى كوريا.

و أسّس أحفاده سلالات ملكية في الصين، و بلاد فارس، و روسيا، و من سلالات أحفاده ملوك حكموا في آسيا الوسطى لقرون عدة.))

- وهكذا..فإن جنكيزخان وقومه وأحفادهوأولاده الذين خلفوه (و ورثوا إمبراطوريته)، كما يحدثنا التاريخ العلمي الموضوعي المنصف لم يكونوا مجرَّدَ شعبٍ هَمَجي متوحّش هاجمجيرانه المتحضِّرين هجوم الوحشيفترس بلداهم وشعوبهم ويدمِّر حضاراتهم ..كما كانت تصوّره بعض الكتب المدرسية ، وكما تجد في كتابات بعض المؤرّخين المسلمين التي طالما خالطها التهويلُ والمبالغةُ والكذب!!..

راجـع: - كـ المغول للدكتور السيد الباز العريني صـ ١٤٨ +١٤٩+١٥٠

- كـ المغول في التاريخ للدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد من صـ١٥٠-١٥٩

- كـ جنكيز خان إمبراطور الناس كلّهم \ هارولد لامب - ترجمة: متري أمين